الرسالة

(عبرانيين ٧: ٢٦–٢٨؛ ٨: ١و ٢)

يا إخوةُ إنَّا يُلائِمنا رئيسُ كهنةٍ مثلُ هذا بارٌّ بلا شرٍّ ولا دَنَسٍ مُتـنزِّهٌ عنِ الخطأةِ قد صار أعلى من السموات* لا حاجةَ له أن يُقرِّب كلَّ يومٍ مثلَ رؤساءِ الكهنةِ ذبائحَ عن خطاياهُ أولاً ثمَّ عن خطايا الشعب. لأنَّه قضى هذا مرَّةً واحدةً حين قرَّبَ نفسه* فإنَّ الناموسَ يُقيمُ أُناساً بهم الضعفُ رؤساءَ كهنةٍ. أمَّا كلمةُ القَسَمِ التي بعد الناموسِ فتُقيمُ الإبنَ مكمَّلًا إلى الأبد* ورأسُ الكلام هو أنَّ لنا رئيسَ كهنةٍ مثلَ هذا قد جلسَ عن يمينِ عرشِ الجلالِ في السموات* وهو خادمُ الأقداسِ والمسكنُ الحقيقيُّ الذي نصبه الربُّ لا إنسانٌ.

الفقر والغنى في فكر القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم

تُعيّد الكنيسة المقدّسة في الثالث عشر من شهر تشرين الثاني للقدّيس يوحنا الذهبيّ الفم رئيس أساقفة القسطنطينية كاتب خدمة القدّاس الإلهي. هو أحد الأقمار الثلاثة إلى جانب القدّيس باسيليوس الكبير والقدّيس غريغوريوس اللاهوتي.

العدد ٤٦/ ٢٠١٦

الأحد ١٣ تشرين الثاني

تذكار أبينا الجليل في القديسين

يوحنا الذهبي الفم

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر العاشر

وُلد قدّيسنا في أنطاكية في منتصف القرن الرابع من أبٍ رومانيّ وثنيّ وأم مسيحيّة هي القدّيسة أنثوسة. سيم أسقفًا على القسطنطينية عام ٣٩٨. وقد عمل القديس يوحنّا خلال أسقفيته على إصلاح أخلاق الاكليروس والمؤمنين. حثّ الاكليروس على الزهد والقيام بواجباتهم المقدّسة كما يجب، فاصطلح الكثير منهم. كما عمل أيضًا على إصلاح أخلاق عامّة المجتمع. نُفي مرتين بسبب معارضة بعض الاكليروس له وبسبب مشاكله مع السلطة المدنية الوثنية التي كان دائمًا يعارض تصرفاتها. يُعتَبَر القدّيس يوحنّا الذهبّي الفم كاتباً غنيًّا ومحترفاً يتمتّع بخطاب حيّ ومقنع، وكانت عظاته تخرج من فمه كالجواهر، حتّى إن بعض عظاته كانت تدوم لساعات ولم يكن الشعب يريده أن يسكت، لذلك لُقّب بالذهبّي الفم.

جذور كلّ المشاكل الاجتماعية بالنسبة إلى القدّيس يوحنّا الذهبّي الفم هي أخلاقية في الأساس، وعلى هذا فقد قارب الحياة من حوله انطلاقًا من أخلاقياته التي ربّته عليها والدته القديسة أنثوسة والتي استقياها من الكتاب المقدّس، عاملينَ بوصية السيّد بمحبة الله والقريب. كان يرى الظلم والخشونة والألم والشقاء الذي يعانيه البشر في كلّ مكان وكان يشعر أن مسبّباتها تكمن في الجشع وانعدام المساواة الاجتماعية. بالنسبة له المال بحد ذاته لاقيمة له لكنّه يغطّي صورة الانسان الحقيقيّة فيخدع المرء به ذاته والآخرين. بالنسبة إلى الذهبيّ الفم الخطورة ليست في المال الذي اقتُني ظلمًا لكن في كل أشكال الثروات الشخصية. فهي بحدّ ذاتها ليست ضارة لكن بمقدورها أن تثير

الإرادة في أن تشتهي أموراً فاسدة.

يلتصق الناس بالأمور المادية بسبب محبّة الفضة لكن الله يعلّمنا أن نحتقرها وأن ننبذها. يقول الذهبيّ الفم «لقد أوضح لنا المسيح نوع الضرر الذي يمكن أن ينجم عن هوى المال وأن وصيّة المسيح بعدم محبّة المال يجب أن تتقدم على هوى المال. هو لا يوصينا فقط أن نحتقر الغنى لكنه يُحرِّم علينا أن نبالي به، بحيث أن الطعام الذي نتناوله يجبّ ألا يكون أفضل ما يمكن أن نجده: «لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون» (مت ٦: ٢٥)».

كلّ ما يدَّخر الإنسان لذاته من أمور، يحرم منها من هو بحاجة إليها. ليس هناك غنيّ إلا وهناك فقير مقابل له. لكن القدّيس يوحنا الذهبّي الفم لا يعتبر أن الفقر بحدّ ذاته فضيلة، إذ يمكن أن يوقع الفقير في هوى الحسد وحبّ الاقتناء. فالفضيلة تكون في احتمال الفقر. الفقر هو شكل من العوز والألم ويعتبر قدّيسنا أن المسيح هو حاضر وسط الفقراء، يأتي إلينا في شكل معتاز وليس في مظهر ثريّ. الفقر المقبول والمفرح، هو الفقر الطوعيّ من أجل المسيح وهو طريق يقود إلى الفضيلة.

ليس هناك من «ثروة خاصة» وكل شيء هو لله فقط. والله هو الذي يهب الغنى للإنسان ويهبه كقرض مؤتمن عليه. ما يمكن أن يدّعي الإنسان أنه يملكه وهو ملك خاص به هو فقط الأعمال الصالحة. وباعتبار أن كلّ ما نتمتّع به يخصّ الله وحده، فتالياً كل ما نتمتّع به يخصّ جميع البشر بالتساوي .

يرى الذهبّي الفم أنَّ السبب في انعدام المساواة يكمن في إساءة استخدام حرّية الإرادة وفي الرغبة في القنية الشخصية. حرّية الإرادة هي التي تحدد كيف سيستخدم كل واحد العطايا التي أُعطيت له وهنا يكمن لبّ المشكلة. ما يطالب به قديسنا هو العدالة والمساواة. والحلّ الذي يقترحه لمشكلة انعدام المساواة هي «المحبّة» لأن «المحبّة لا تطلب ما لنفسها» (١ كور ١٣: ٥). بالنسبة إليه، هذا الحلّ عاشته الكنيسة في عصر الرسل كما يرد في سفر أعمال الرسل: «كان كل شيء مشتركًا. والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع، كما يكون لكلّ واحد احتياج» (أع ٢: ٤٤– ٤٥). هنا نشير إلى أن حالة الكنيسة في سفر أعمال الرسل هي مبدأ الحياة المشتركة في أديار الشركة حيث يتشارك الكلّ في كل شيء ولا يملك الرهبان أي شيء لأنفسهم.

أراد الذهبّي الفم أن يطبّق في العالم نموذج الأخويات الديرية الذي يرتكز على عدم القنية الشخصية أي حيث يعيش الرهبان حياة شركة في كلّ شيء مبتعدين عن حب الاقتناء. في أحاديثه كان يُحاول ان يثبت أنَّ التبّرع الطوعيّ بالثروات والتوزيع المتساوي هو كفيل بأن يسدّ حاجات الجميع. هكذا نظّم مالية الكنيسة: قسم من مال الكنيسة من أجل صيانة الكنائس ومعيشة الإكليروس والقسم الأكبر كان مُخصّص للفقراء. بالنسبة إلى الذهبّي الفم التوزيع العادل للثروات هو فاعل وناجح إذا ما جاء طوعياً كتعبير عن محبة وإنكار للذات. بالنسبة له، أمر حيويّ أن تكون الجماعة المسيحية ذات نفس واحدة و ذات مسؤولية واحدة وهم واحد . لهذا فهو يعتبر أن أعمال الإحسان هي ضرورية وجوهرية في الحياة المسيحية.

الإنجيل

(لوقا ١٠: ٢٥–٣٧)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ ناموسيٌّ وقال مجرِّباً له يا معلّم ماذا أعملُ لأرِثَ الحياةَ الأبديَّة* فقال له ماذا كُتِبَ في الناموس. كيف تقرأُ* فأجاب وقال أحبِبِ الربَّ إلهَكَ من كلِّ قلبِك ومن كلِّ نفسِك ومن كلِّ قدرتِك ومن كلِّ ذهنِك وقريبَك كنفسِك* فقال لهُ بالصواب أجبتَ. إعمَلْ ذلك فتحيا* فأراد أن يُزكّيَ نفسَه فقال ليسوعَ ومَن قريبي* فعاد يسوعُ وقال كان إنسانٌ منحدِراً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوصٍ فعَرَّوهُ وجرَّحوهُ وتركوهُ بين حيٍّ وميّتٍ* فاتَّفق أنَّ كاهناً كان منحدِراً في ذلك الطريق فأبصره وجاز من أمامِه* وكذلك لاويٌّ وأتى إلى المكانِ فأبصرَه وجازَ من أمامه* ثم إنَّ سامِريًّا مُسافراً مرَّ به فلمَّا رآه تحنَّن* فدنا إليه وضمَّد جراحاتِه وصبّ عليها زيتاً وخمراً وحمله على دابَّته وأتى به إلى فندقٍ

واعتنى بأمره* وفي الغدِ فيما هو خارجٌ أخرجَ دينارَيْن وأعطاهما لصاحِبِ الفندقِ وقال له إعتَنِ بأمره. ومهما تُنفِق فوق هذا فأنا أدفعُه لك عند عودتي* فأيُّ هؤلاءِ الثلاثةِ تحسَبُ صار قريباً للذي وقع بين اللصوص* قال الذي صنعَ إليه الرحمة. فقال له يسوعُ إمضِ فاصنَع أنتَ أيضاً كذلك.

تأمل

لنرَ معنى هذا المَثَل: الإنسان هو آدم وأورشليم هي موطن السموات والحكمة وأريحا هي العالم. قبل المعصية كان آدم يتمتع بحكمة السموات وبحياة ملائكية وكانت أبواب مدينة السماء أورشليم مفتوحة أمامه. كان يسكن ويعيش في نطاق وصايا الله ولم يكن أي شيء يقوى عليه أو يجرّحه. لكن عندما عصا الله ولم يحفظ وصاياه بل خدعته الحيّة، عندها انحدر إلى أريحا أي إلى الأرض وانشغل بأعمالها. انحدر إذاً من أورشليم إلى أريحا أي من حياة السموات إلى حياة تسودها خدعة الشيطان.

سقط في أيدي اللصوص وهُم الشيطان وقوّاته. الطريق هي الحياة حيث سار آدم ووقع في أيدي اللصوص وعرّوه من رفقة

صوم الميلاد

تدعونا كنيستنا المقدّسة، إبتداءً من الخامس عشر من شهر تشرين الثاني إلى رحلة صومٍ تمتدّ أربعين يومًا، تنتهي في الخامس والعشرين من شهر كانون الأوّل، يوم عيد ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح بالجسد.

صوم الميلاد هو واحدٌ من الأصوام القانونيّة الأربعة: الميلاد، الفصح، الرسل والسيّدة، طبعًا إلى جانب يومي الأربعاء والجمعة من كلّ أسبوع، ما عدا الفترات التي تسمح بها الكنيسة بعدم الصوم مثل الفترة الواقعة بين عيد الفصح ووداعه.

يهدف الصوم إلى التركيز على ما هو سامٍ، أي على ملكوت الله، وهو طريقةٌ لجعل الفضائل محسوسة، ليس نظريّات فقط. يحرّرنا الصوم من تعلّقنا بالأمور الدنيويّة، طبعًا عندما نصوم بإيمانٍ وسريّة، من دون أن ندين الآخرين ولا أن نستكبر جاعلين من أنفسنا مثالاً يُحتَذى.

ليس الصوم بذاته وسيلة لإرضاء الله، كما أنّه ليس عقابًا على خطايانا، ولا هو وسيلة عذاب وألم من أجل الوصول إلى مصالحة مع الله. لقد سبق أن افتدانا المسيح على الصليب. إذًا الخلاص هو نعمة إلهيّة لا يمكن شراؤها بتجويع أنفسنا أو تعطيشها. نصوم لكي نتحرّر من أهواء الجسد من أجل أن تزهر نعمة الخلاص فينا. نصوم متوجّهين إلى الله بالصلاة في الكنيسة، لأنّ الصوم والصلاة لا ينفصلان. الأهمّ أنّنا نصوم من دون أن «نلتهم بعضنا بعضًا» على حسب قول القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم الذي نعيّد له اليوم. الصوم بحسب النبيّ إشعياء هو: «حلّ قيود الشرّ، فكّ عُقَد النّير وإطلاق المسحوقين أحرارًا وقَطع كلّ نير... أن تَكسِر للجائع خبزَك وأن تُدخِلَ المساكين التّائهين إلى بيتك. إذا رأيتَ عريانًا أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لَحمك» (٥٨: ٦-٧).

لا تعلّمنا الكنيسة ولا تطلب منّا أمرًا لم يمارسه أوّلاً رأسها، الربّ يسوع المسيح. صام المسيح وعلّم رسله كيف يصومون قائلاً: «ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين، فإنّهم يغيّرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين. الحقّ أقول لكم إنّهم استوفوا أجرهم. وأمّا أنت فمتى صمتَ فادهن رأسك واغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائمًا بل لأبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية» (مت ٦: ١٦-١٨). أيضًا علّمنا الربّ يسوع أنّ الصوم، المترافق مع الصلاة، هو سلاح يفتك بالشرّير: «أمّا هذا الجنس فلا يخرج إلاّ بالصلاة والصوم» (مت ١٧: ٢١ ومر ٩: ٢٩). يقول القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم: «مسيحيّون كثر يتجاهلون فائدة الصوم العظيمة، فهم إمّا يمارسونه على مضض أو يتجاهلونه. لكن يجب أن نقبل الصوم بفرح وليس بحزن وخوف، لأنّه ليس مخيفًا لنا بل للشياطين».

أيضًا، يعطينا القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم صورة أشمل للصّوم قائلاً: «عندما نصوم لا يكفي الإمتناع عن مآكل محدّدة لكي نستفيد روحيًّا، لأنّه خطر ألاّ نكسب شيئًا في محافظتنا على الصّوم. كيف؟ عندما نبقى بعيدين عن الطّعام ولكننا لا نبقى بعيدين عن الخطيئة؛ عندما لا نأكل لحومًا ولكنّنا نأكل حياة الفقراء؛ عندما لا نسكر بالخمر ولكنّنا نسكر بالرغبة الشرّيرة؛ عندما نقضي اليوم صائمين لكنّنا نشاهد مشاهد غير أخلاقيّة، هكذا يكون صومنا باطلاً.

لذلك يجب أن نجعله مقترنًا بالحرب على الأهواء، بضبط النفس عن كلّ خطيئة، بالصلاة والجهاد الروحيّ، هكذا فقط ستكون لديه ثمار وسيكون ذبيحة مقبولة مميّزة لدى الربّ».

في النهاية، ليس أحدٌ مجبرًا على الصوم، لكنّنا نطيع كنيستنا التي أوصتنا بهذا الأمر، وهذه الطاعة تنبع من محبّتنا للربّ. لكن، ثمّة مَن هم معفَون من الصوم، أي الحبالى والمرضعات، والمرضى الذين يعانون أمراضًا مؤلمة تجعل أجسادهم واهنة. إضافةً إلى ذلك، علينا ألاّ نصوم من دون صلاة أو أعمال حسنة، والأهمّ هو ألاّ نبالغ في ممارسة أصوام غير التي توصينا بها الكنيسة من دون سؤال الأب الروحيّ، لكي لا يكون الصوم للمنفعة فيصبح جالبًا للأمراض والأذى من الناحيتين الروحيّة والجسديّة.

التواضع

+ عندما يحين الوقت ليسود التواضع في طريقة حياتك، نفسُك ستُخضِع ذاتها لك، ومعها سيكون كلّ شيءٍ خاضعاً لك، لأنّ السلام الذي من الله وُلد في قلبك. لكن طالما أنّك خارج التواضع، ستكون مضطهَداً من دون انقطاعٍ ليس من الأهواء وحسب، بل من النوائب أيضاً. فيا ربُّ، إن لم نُواضع أنفسنا حقًّا، لا تكفَّ عن أن تُواضِعَنا. إنّ التواضع الحقيقيّ هو ثمر المعرفة، والمعرفة الحقيقية هي ثمرة التجارب.

+ التواضع وشاح الألوهة. الكلمةُ المتجسّد تسربله، وبه كلَّمنا في جسدنا. فكلّ مَن يتسربله يتشبّه حقًّا بذاك الذي انحدر من علوّه، وغطّى بهاء عظمته بالتواضع، وستر مجده به، لئلاّ تفنى الخليقة تماماً ملتهبةً بالتمعّن فيه. لأنّ الخليقة ما كانت لتقدر أن تنظر إليه ما لم يأخذ هو لنفسه جزءاً منها، وهكذا تحدّث معها، ولا أن تقدر أن تسمع أقوال فمه وجهاً لوجهٍ. كذلك أولاد إسرائيل لم يتمكّنوا حتى من سماع صوته حين تكلّم معهم من الغمامة (أنظر تثنية ٥: ٢٥–٢٧). فكيف ستقدر الخليقة، إذاً، أن تحتمل مشاهدته علانية؟ إنّ بني إسرائيل كانوا مرتعدين جداً حتى إنّهم قالوا لموسى: «ليتكلّم الله معك، وأنت تسمع كلامه بدلاً منّا، ولا يكلّمنا الله، لئلاّ نموت» (خروج ٢٠: ١٩).

القديس إسحق السرياني

صوم الميلاد

تبتدئ الكنيسة المقدسة في الخامس عشر من تشرين الثاني صوم الميلاد الذي يمتد لأربعين يوماً نتهيَّأ خلاله لاستقبال ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح بالجسد.

في هذا الصوم نمتنع عن أكل جميع أنواع اللحوم والحليب ومشتقاته، ويُسمح بأكل السمك فقط ما عدا يومي الأربعاء والجمعة، كما يُسمح بتناول وجبة الفطور صباحاً.

أهّلنا الرب أن نصير هياكل وأواني مقدسة مستعدة لاستقبال الرب في ميلاده بيننا.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

الملائكة، من المجد الأزلي، من معاشرة المسيح، من الفرح السرمدي ومن الحياة السماوية. جرّحوه بالخطايا، بالفسق، بالزنى، بالوثنية، بالسحر، بالقتل، بالنزاعات، بالغضب وبكل رذيلة. كل خطيئة تسبّب جرحاً.

يقول «قد تركوه بين حيّ وميت» على الطريق أي في هذه الحياة. وعندما وصل الكاهن إلى الطريق ورآه عبر عنه. والمقصود بالكاهن المغبوط موسى وهرون. وكذلك فعل اللاوي وهو يمثّل مصف الأنبياء. لأن هؤلاء أتوا بعد موسى بعد أن ساروا على الطريق نفسه ورأوا الإنسان مجرحاً ولم يقيموه. لا موسى بعجائبه ولا الأنبياء بآياتهم استطاعوا أن ينقذوه من الموت ولم يستطيع أحد أن يضمّد جرح الخطيئة. لأنهم كانوا هم أيضاً موثقين بالخطيئة.

إلى أن جاء سامري بموقف شفوق محبّ لأخوته العبيد. عندما وصل إلى ذلك المكان ورآه مجرّحاً تحنّن عليه فوضع عليه زيتاً وخمراً وضمّد جراحاته أي خطاياه. ربنا يسوع المسيح (الإله المتجسد) هو الذي أخذ وجه السامري وصورته وخلّص الإنسان من براثن الشرير.

القديس يوحنا الذهبي الفم